

**THE BOOK WAS
DRENCHED**

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190451

UNIVERSAL
LIBRARY

إسراء الخطيب

ومشاهير الخطباء

تأليف

سلامة موسى

حقوق الطبع والنشر
محفوظة لمجلة الهلال

مطبعة النهضة

١٩٢٤

المقدمة

ربما كانت الخطابة أقدم الفنون الأدبية . فالهمج والتمدينون سواء في الحاجة الى الخطيب يناشد فيهم حميتهم ووطنيتهم لذود العدو الجائح أو للغارة على جار مستضعف أو لاسترداد حق مسلوب أو اغتصاب ملك جديد

والخطيب الملهم يخاطب العواطف وقل أن يأبه للعقل . لأن الناس اذا اجتمعوا شملهم ادراك آخر غير ادراكهم الشخصي . فهم يفكرون أو بالآخرى يحسون جماعة . فينزلون عندئذ من سماء العقل والمنطق الى مضيض العواطف والشعور فتحركهم اللفظة المبهرجة وتستفزهم المعاني التافهة المنمقة . وهذا هو السبب في ان الاقدمين لا يقولون عنا شأواً في الخطابة وفي ان أحسن الخطب عند الاستماع وسط الحشد يفقد شيئاً كبيراً من تأثيره وفعله في النفس اذا قرأه قارئ على انفراد . وذلك لما أشرنا اليه من ان الناس اذا اجتمعوا تغلبت عواطفهم على عقولهم وشمل نفوسهم شيء من التفزز يستثير فيهم الحزن أو السرور أو الحماسة لشئون لا يتحرك منها العقل . ولعل هذا هو السبب الذي جعل المؤرخ الانجليزي فرود يسمي الخطابة بـ"فني" الفنون

لهذا كانت عيون الخطيب التي حفظها التاريخ قليلة معدودة . لأن الخطبة ينطق بها الخطيب أمام الحشد ويعبرها فيضاً من

شخصيته من حيث انطلاق اللسان ورشاقة الحركة وجهارة الصوت
تقد هذه الميزات اذا عرض لها المؤرخ وهو منفرد جالس في هدوء
مكتبته . لأنه وهو في هذه الحال يسلط عقله على انشاء لم يقصد به
مواجهة العقل فيرى بهرجاء ما كان يظنه المجتمعون وهم في نشوة
عواطفهم جوهرًا خالصًا

وقد جمعنا في هذا المجلد غرر الخطب وعيونها التي رضيها
المؤرخون واحتملت تمحيصهم فدونوها وأبقوا عليها . وقد قسمناه
جزأين : الاول يحتوي على خطب العرب والثاني يحتوي على
خطب الاوربيين قديمهم وحديثهم . ومهدنا لكل خطبة بترجمة
مختصرة عن الخطيب الذي فاه بها

ولا بد لنا من الاشارة الى اننا اوردنا هذه الخطب بنصوصها
الاصلية ونحن نعرف ما في بعضها من المخالفة لروح العصر الحاضر
وانما اثبتناها لقيمتها التاريخية

سلام موسى

الجزء الأول

عيون الخطب العربية

نبذة

في تاريخ الخطابة العربية

ليس يؤثر عن العرب في الجاهلية سوى خطب الكهان . ولا شك أن الخطابة كانت فناً معروفاً في ذلك الوقت يمارسها الرؤساء وذوو الرأي في القبائل للاستنفار والمناشدة . ولكن آداب الجاهلية من شعر وخطابة غنى آثارها الاسلام لما كانت تحويه من اشارات وثنية ونخوة جاهلية . والاسلام يكره الاثنين لتعصبه للتوحيد وإرغبه في المساواة بين المسلمين . ثم كان الاسلام يخطب النبي كما خطب الخلفاء الراشدون وصارت « خطبة الجمعة » سنة وركناً من اركان الدين . وكانت الخطب في هذا الدور دينية محضة الا ما كان ينطق به القواد امثال خالد بن الوليد في ميادين القتال للحض على منازلة الاعداء

ثم جاءت الدولة الاموية فظهرت الخطب السياسية وصار للخطابة شأن وفن يمارس . ولعل القارىء يدرك خطر الخطابة في ذلك الوقت من اهمام جميع المؤرخين بما فعله الوليد بن عبد الملك اذ كان يخطب وهو قاعد

أما في الدولة العباسية - وهي في اعتقادنا سبب انحطاط شأن العرب لنزوع الخلفاء نزعاً دينية محضة - فإن الخطابة فقدت في عصرها صفة الأرتجال وملاءمة الخطبة للظرف المحيط بالخطيب .

وصارت الخطب نسخ نسخاً وتحفظ حفظاً . فيفيض . جمعوا شائبة
ويشبه أولها آخرها في قلة المعنى واتساق العبارة
ثم اجتاحت المغول الدول العربية ومحوها من الوجود إلا صورة
أبقوها في الخلافة العباسية وما كان أغناهم عن ذلك لأن الخلفاء
العباسيين كانوا اتسبهم من حيث الدم مغولاً في ذلك الوقت
وحكم المغول من كرد وترك وأفغان وسائر الآسيويين الذين
تسلطوا على البلاد العربية لم يتخلص ظله في الواقع إلا منذ نحو
مائة سنة حين نهض العرب في مصر وسوريا . وكانت مصر هي
البادئة المتبوعة فظهر فيها خطباء . وكان أول ظهورهم في
الثورة العربية

رأى الرب عربي في الخطابة

كان ابراهيم بن جبلة يعلم فتیان العرب الخطابة فربه بشر بن
المعتمد فوقف يستمع . فظن ابراهيم انه انما وقف ليستنيد . فقال
بشر : « اضربوا عما قال صنفحاً . واطووا عنه كشحاً » ثم دفع
اليهم صحيفة من تنميته وتخييرد يصح أن نعتبر ما جاء فيها أساساً
لما جرى عليه بعض العرب في تأليف الخطب

قال بشر في هذه الصحيفة : « خذ من نفسك ساعة نشاطك
وفراغ بالك واجابتها اياك . فإن نفسك تلك الساعة اكرم جوهرأ
وأشرف حسباً وأحسن في الاسماع وأحلى في الصدور وأسلم من
فاحش الخطأ . وأجلب لكل عين من لفظ شريف ومعنى بديع .
واعلم ان ذلك اجدى عليك مما يعطيك يومك الاطول بالك
والمطاولة . والمجاهدة بالتكليف والمعاودة ومهما اخطاك لم يخطئك

إناك رسول ربك لا يقرع لك بابا . ولا يهاب لك حجابا . ولا
يقبل منك بديلا . ولا يأخذ منك كفيلا . ولا يرحم لك صغيرا .
ولا يوقرفيك كبيراً . حتى يؤدبك الى قعر مظلمة . أرجأوها موحشة .
كفعله بالأمم الخالية والقرون الماضية . ابن من سعى واجتهد
وجمع وعدد . وبنى وشيد وزخرف ونجد . وبالتقليل لم يشنع
وبالكثير لم يمتع . ابن من قاد الجنود ونشر البنود . اضحوا رقاً
تحت الثرى امواتا . وانتم بكاسهم شاربون . ولسبيلهم سالكون .
عباد الله فاتقوا الله وراقبوه واعملوا لليوم الذي تسير فيه الجبال .
وتنشق السماء بالغمم . وتتطاير الكتب عن الايمان والشمالك

خطبة اخرى لعلي بن ابي طالب

لما اغار سفيان بن عوف الاسدي بجيش من جيوش معاوية على الانبار
وقتل عامل علي عليها حسان البكري خرج علي حتى جلس على باب السدة محمد
الله واثى عليه ثم قال :

اما بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنة . فمن تركه البسه الله
ثوب الذل واشتله البلاء والزمه الصغار وسامه الخسف . ومنعه
النصف . الا واني دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهاراً
وسراً واعلاناً وقلت لكم : اغزوهم قبل ان يغزوكم فوالله ما غزي
قوم قط في عقر دارهم الا ذلوا . فتواكلتم وتخاذلتم وثقل عليكم
قولي . فاتخذتموه وراءكم ظهرياً حتى شنت عليكم الغارات . هذا
اخر عامد قد بلغت خيله الانبار وقتل حسان البكري . وازال
خيلكم عن مسارحها وقتل منكم رجالا صالحين . ثم انصرفوا وافرین
ماكلهم رجل منهم . فلو ان رجلا مسلما مات من بعد هذا اسفيا

ما كان عندي ملوما بل كان به عندي جديراً . فواعجباً من جد هؤلاء في باطلهم وفشلهم عن حقكم . فقبحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يرمى يغار عليكم ولا تغيرون . وتغزون ولا تغزون . ويعصى الله وترضون . فاذا امرتم بالمسير اليهم في ايام الحر قلم : « حمارة القيظ امهلنا حتى يسبخ عنا الحر » . واذا امرتم بالمسير اليهم ضحى في الشتاء قلم : « امهلنا حتى ينسلخ عنا هذا القرم » . فأنتم والله من السيف افر . يا اشباه الرجال ولا رجال . ويا أحلام أطفال وعقول ربات الحجال . وددت ان الله أخرجني من بين أظهركم وقبضني الى رحمته من بينكم واني لم اركم ولم اعرفكم معرفة . والله حرت وهنا . ووريتم والله صدري غيظاً . وجرعتموني الموت اتقاساً . وأفسدتم علي رايتي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش ان ابن ابي طالب شجاع ولكن لا علم له بالحرب . لله ابوهم . وهل منهم احد اشد لها مراساً وأطول تجربة مني . لقد مارسها وانا ابن عشرين . فها انا ذا قد نيفت على الستين ولكن لا رأي لمن لا يطاع

خطبة اخرى لعلي بن ابي طالب

الحمد لله الذي استخلص الحمد لنفسه واستوجبه على جميع خلقه . الذي ناصية كل شيء بيده ومصير كل شيء اليه . والقوي في سلطانه اللطيف في جبروته . لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع . خالق الخلائق بقدرته ومسخرهم بمشيئته . وفي العهد صادق الوعد . شديد العقاب جزيل الثواب . احمده واستعينه على ما انعم به مما لا يعرف كنهه غيره . واتوكل عليه توكل المستسلم لقدرته . المتبري من الحول والقوة اليه . واشهد شهادة لا يشوبها شك انه

لا اله الا هو وحده لا شريك له الها واحداً صمداً . لم يتخذ صاحبة ولا ولداً . ولم يكن له شريك في الملك . وهو على كل شيء قدير . قطع ادعاء المدعي بقوله عز وجل « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » واشهد ان محمداً صلى الله عليه وسلم صفوته من خلقه وامينه على وحيه . ارسله بالمعروف آمراً وعن المنكر ناهياً والى الحق داعياً . على حين فترة من الرسل . وضلالة من الناس واختلاف من الأمور . وتنازع من الالسن . حتى تم به الوحي وانذر به أهل الارض . اوصيكم عباد الله بتقوى الله فانها العصمة من كل ضلال والسبيل الى كل نجاة . فكأنكم بالجثث قد زايلتها ارواحها وتضمنتها أجدانها . فلن يستقبل معمر منكم يوماً من عمره الا بانتقاص آخر من اجله . وانما دنيا كم كفيء الظل أوزاد الراكب . واحذر كم دعاء العزيز الجبار عبده . يوم تغفى آثاره وبوحش منه دياره ويؤتم صفاره . ثم يصير الى حفير من الارض متعفراً على خده . غير موسد ولا ممهد . اسأل الذي وعدنا على طاعته جنته . ان يقينا سخطه ويجنبنا نقمته ويهب لنا رحمته . ان أبلغ الحديث كتاب الله

خطبة اخرى لعلي بن ابي طالب

استفز علي اهل الكوفة لحرب الجمل فاقبلوا اليه مع ابنه الحسن فقام فيهم خطيباً فقال :

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآخر المرسلين .

اما بعد . فان الله بمث محمداً عليه الصلاة والسلام الى الثقلين

كافة والناس في اختلاف . والارب بشر النازك . . . فرأب الله به
 الثأي . ولأم به الصدع . ورتق به الفتق . وأمن به السبل . وحتن
 به الدماء . وقطع به العداوة الواغرة في القلوب . والضغائن المخشنة
 للصدور . ثم قبضه الله عز وجل مشكوراً سعيه . مرضياً عمله .
 مغفوراً ذنبه . كريماً عند ربه نزاله . فيالها مصيبة عمت المسلمين .
 وخصت الاقربين . وولى ابو بكر فسار بسيرة رضيها المسلمون . ثم
 ولى عمر فسار بسيرة ابي بكر رضي الله عنهما . ثم ولى عثمان فقال
 منكم وولتم منه حتى اذا ما كان من امره ما كان اتيمموه فقتلتموه .
 ثم اتيموني فقلتم لي : ياينا . فقتلت لكم لا اقبل . وقبضت يدي
 فبسطتموها . ونازعتم كفي فخذبتموها وقلم : لا نرضى الا بك .
 ولا نجتمع الا عليك . وتدا ككتم علي تذاك الابل الهم على
 حياضها يوم ورودها . حتى ظننت انكم قايي وان بعضكم قاتل
 بعض . فبايعتموني وبايعني طلحة والزبير سم ما لبثا ان استاذناني
 للعمرة فسارا الى البصرة فقتلا بها المسلمين . وفلا الاذاعيل وهما
 يعلمان والله اني لست بدون واحد ممن مضى . ولو اشاء ان اقول
 لتلت اللهم انهما قطما قرابتي . ونكثا بيعتي والبا علي عدوي .
 اللهم فلا تحكم لهما ما ابرما . وارهما المساءة عملا وأملا

خطبة لماوية بن ابي سفيان

كان معاوية اول خلفاء الدولة الاموية وقد توفي سنة ٦٠ هـ . الموافقة لسنة
 ٦٨٠ م . وكان « مربى دول وسائس امم وراعي ممالك » ويحكى انه لما حضرته
 الوفاة جمع اهله فقال : الستم اهلي . قالوا : بلى فذاك الله بنا . قل : فهدم
 نفسي قد خرجت من قدمي فردوها علي ان استطعتم . فبكوا وقاتوا . مالا الى
 هذا سبيل . فرفع صوته بالبكاء ثم قال : فلا تترك الدنيا بعدي

قال القحذمي: لما قدم معاوية المدينة عام الجماعة تلقاه رجال قريش . فقالوا : الحمد لله الذي اعز نصرته وأعلى كعبك . قال : فوالله ما رد عليهم شيئاً حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

فأني والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم ولا مسرة بولايتي . ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدة . ولقد رضت لكم نفسي على عمل بن ابي قحافة وأردتها على عمل عمر فنفرت من ذلك تناراً شديداً . وأردتها على ثنيات عثمان فابت علي . فسلكت بها طريقاً لي ولكم فيه منفعة : مؤاكلة حسنة ومشاركة جميلة . فان لم تجدونني خيركم فاني خير لكم ولاية . والله لا احمل السيف على من لا سيف له وأن لم يكن منكم الا ما يستشفى به القائل بلسانه . فقد جعلت ذلك له دبر اذني وتحت قدمي . وان لم تجدونني اقوم بحقكم كله فاقبلوا مني بعضه فان اناكم مني خير فاقبلوه . فان السيل اذا جاء يترى . وان قل اغنى . واياكم والفتنة فانها تفسد المعيشة وتكدر النعمة

خطبة اخرى لمعاوية

صعد منبر المدينة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

يا أهل المدينة . اني لست أحب أن تكونوا خلقاً كخلق العراق يعيبون الشيء وهم فيه . كل امرئ منهم شيعة نفسه . فاقبلونا بما فينا فان ما وراءنا شر لكم . وان معروف زماننا هذا منكر زمان قد مضى ومنكر زماننا معروف زمان لم يات . ولو قد اتي فالرتق خير من الفتق . وفي كل بلاغ . ولا مقام على الرزبة

الهام عن مثيله . وبذهل الخليل عن خليفه . يا أهل العراق .
والكفرات الفجرات والغدرات بعد الخترات والثورة بعد
الثورات . . . هل استخفكم ناكث واستغواكم غاو واستنزكم عاص
واستصرحكم ظالم واستعضدكم خالع الا وثتموه وآريتموه
وغررتموه ونصرتموه ورضيتموه . يا أهل العراق . هل شغب
شاغب أو نعب ناعب أو نطق ناعق أو زفر زافر الا كنتم اتباعه
وأنصاره . يا أهل العراق . ألم تنهكم المواعظ . ألم نرجركم الوقائع

خطبة اخرى للحجاج

خطب بالبصرة فحمد الله وثنى عليه ثم قال :

ان الله كفانا مؤونة الدنيا وأمرنا بطلب الآخرة . فليته كفانا
مؤونة الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا . ما لي أرى علماءكم مذهبون
وجنابكم لا يتعلمون . وشراركم لا يتوبون . ما لي أراكم محرصون
على ما كنيتم وتضيعون ما به أمرتم . ان العلم يوشك أن يرفع . ورفع
ذهاب العلماء . الا واني اعلم بشراركم من البيطار بالفرس . الذين
لا يقرأون القرآن الا هجراً . ولا يأتون الصلاة الا درأ . الا وأن
الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر . الا وأن الآخرة أجل
مستأخر يحكم فيها ملك قادر . الا فاعملوا وانتم من الله على حذر .
واعلموا انكم ملاقوه ليجزي الذين اساءوا بما عملوا . ويجزي
الذين احسنوا بالحسنى . الا وان الخير كله بمذاغيره في الجنة . الا
وأن الشر كله بمذاغيره في النار . الا وان من يعمل مثقال ذرة خيراً
يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره . واستغفر الله لي ولكم

خطبة اخرى للحجاج

خرج الحجاج يريد العراق والياً عليها في اثني عشر راكباً على النجائب حتى دخل الكوفة حين انتشر النهار . وقد كان فشا امر الخوارج وتفاقم . وتثاقل الناس عن اللحاق بذئلب الذي كان يناجزهم . فصعد المنبر وهو ملثم بعمامة حمراء . فقال : علي بالباس ، محسبوه واصحابه خوارج فهموا به . حتى اذا اجتمع الناس قام ثم كشف عن وجهه وقال :

انا ابن جلا وظلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني
صليب العود من سلمي زارا كنصل السيف وضاح الجبين
وماذا تتلني الشعراء مني وقد جاوزت حد الاربيين
امدو خمسين مجتعم اشدي وننجدني مداورة الشؤون
.. اما والله اني لأحمل اشر بحمله واحذوه بنمله واجزيه
بمثله . واني لأرى رؤساً قد أينعت وحاز قطافها . واني لصاحبها
واني لأنظر الدماء بين العمائم واللحم تترقرق :

قد شمرت عن ساقها فشمري هذا أوان الحرب فاشتدي زيم
قد لفها الليل بسواق حطم ليس براعي ابل ولا غنم
ولا بجزار على ظير وضم

قد لفها الليل بعصلي اروع جراح من الدوى
مهاجر ليس باعرابي

قد شمرت عن ساقها فشدوا ما علمتي وانا شيخ اد
والقوس فيها وتر عرد مثل ذراع البكر أو اشد
اني والله يا أهل العراق ومعدن الشقاق والنفاق ومساويء
الاخلاق . لا ينمز جانبي كتغراز التنين . ولا يقعقع لي بالشان . ولقد
فررت عن ذكاء . وفتشت عن تجربة . واجريت مع الغاية .

فيئكم بينكم . فان أيتم وقاتلتمونا دونهم قاتلناكم . فابعدم الله
واسحقكم يا أهل المدينة . مررت بكم في أزمان الاحول هشام
ابن عبد الملك وقد أصابتكم عاهة في ثماركم فركبتم اليه تسالونه ان
يضع خراجكم عنكم . فكتب بوضعها عنكم . فزاد النبي شني وزاد
الفقير فقراً . فقلتم : جزاكم الله خيراً . فلا جزاه الله خيراً
ولا جزاكم

خطبة اخرى لأبي حمزة

خطب هذه الخطبة في اهل المدينة فحمد الله واثى عليه ثم قال :

أعلمون يا أهل المدينة أنا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشراً ولا
بطراً ولا عبثاً ولا لهواً . ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه .
ولا نأرقديم نيل منا . ولكننا رأينا مصاييح الحق قد عطلت .
وعنف الفائل بالحق . وقتل القائم بالقسط . ضاقت علينا الارض
بما رحبت . وسمعنا داعياً يدعو الى طاعة الرحمن وحكم القرآن .
فاجبنا داعي الله . ومن لا يجيب داعي الله فليس بمعجز في الارض .
فأقبلنا من قبائل شتى . انفرمنا على بئر واحد عليه زادهم وانفسهم .
يتماورون لحافاً واحداً . قليلون مستضعفون في الارض . فأوانا الله
وايدنا بنصره . وأصبحنا والله بنعمته اخوانا . ثم لقينا رجالكم
بقديد . فدعوناهم الى طاعة الرحمن وحكم القرآن . ودعونا الى طاعة
الشیطان وحكم مروان وآل مروان . شتان لمر الله ما بين النبي
والرشد . ثم أقبلوا يهرعون ويزفون . قد ضرب الشيطان فيهم بجبراته
وغلت بدمائهم مراجله . وصدق عليهم ظنه . وأقبل أنصار الله

عصائب وكتائب . بكل مهند ذي روثق . فدارت رحانا واستدارت
رحام بضرب يرتاب منه المبطلون . وأنتم يا اهل المدينة ان تنهـروا
مروان وآل مروان يسحتم الله بهذاب من عنده أو بايدينا ويشف
صدور قوم مؤمنين . يا اهل المدينة ان أولكم خير اول واخركم شر
آخر . يا اهل المدينة . الناس منا ونحن منهم الا مشركا عابد وثن .
أو كافراً من اهل الكتاب . أو اماماً جائراً . يا اهل المدينة . من
زعم ان الله تعالى كلف نفساً فوق طاقتها ، أو سالها عما لم يؤتها .
فبئس الله عدو ولنا حرب . . . يا اهل المدينة بلغني انكم تتنصون
أصحابي . قلتم هم شباب أحداث وأعراب جناة . ويحكم يا اهل
المدينة . وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا شباباً
أحداثاً ؟ شباباً والله . مكملون في شبابهم . غضبضة عن الشر
اعينهم . ثفيلة عن الباطل أقدامهم . قد باعوا أنفسهم غدا .
باتفس لا نموت ابداً . . . منجنية أصلاهم على أجزاء القرآن .
كلما مروا بآية خوف شهقوا خوفاً من النار . واذا مروا بآية شوق
شهقوا شوقاً الى الجنة . فلما نظروا الى السيوف قد انتضبت والى
الرماح قد أشرعت والى السهام قد فوقت . وارعدت الكتيبة
بصواعق الموت . استخفوا وعيد الكتيبة عند عيد الله . ولم
يستخفوا وعيد الله عند وعيد الكتيبة . فطوبى لهم وحسن مآب .
فكم من عين في منار طائر طالما بكى بها صاحبها من خشية الله .
وكم من يد قد ابينت عن ساعدها طالما اعتمد عليها صاحبها راعها
وساجداً . أقول قولي هذا واستغفر الله من تقصيرنا وما توفيقى
الا بالله عليه توكلت واليه أنيب

منكم . وهو الموت المكتوب عليكم . فانه لا يستقال بعده عثرة ولا
تحظر قبله توبة . واعلموا انه لا شيء بعده الا فوقه ولا عين على
جرعه وعكره وكر به وعلى التبر وظلمته ووحشته وضيقه وهول
مطلعه ومسألة ملكيه الا العمل الصالح الذي أمر الله به . فمن
زلت عند الموت قدمه فقد ظهرت ندامته . وفاته استقامته .
ودعا من الرجعة ما لا يجاب اليه وبذل من القدية ما لا يقبل منه .
فالله الله . عباد الله . كونوا قوماً سألوا الرجعة فأعطوها إذ منعها
الذين طلبوها . فانه ليس يتمنى المتقدمون قبلكم الا هذا الأجل
المبسوط لكم . فاحذروا ما حذركم الله منه . واتقوا اليوم الذي
يجمعكم الله فيه . لوضع موازينكم ونشر صحفكم الحافظة لأعمالكم .
فلينظر عبد ما يضع في ميزانه مما يثقل به ومما يملئ في صحيفته الحافظة
لما عليه ولست أنهاكم عن الدنيا بأكثر مما نهتكم به الدنيا
عن نفسها . فان كل ما بها يحذر منها وينهي عنها . وكل ما فيها يدعو
الى غيرها . وأعظم ما رآته أعينكم من فجائعها وزوالها ذم الله لها
والنهي عنها فانه يقول تبارك وتعالى : فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا
يغرنكم بالله الغرور . وقال : انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة
وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد . فانتفعوا بمعرفتكم بها
وباخبار الله عنها . واعلموا أن قوماً من عباد الله أدركتهم عصمة
الله . فحذروا مصارعها وجانبوا خدائعها . وآثروا طاعة الله فيها
وادركوا الجنة بما يتركون منها

الى السموات العلى الى سدره المنتهى . عندها جنة المأوى ما زاع
البصر وما طنى . صلى الله عليه وعلى خليفته ابي بكر الصديق
السابق الى الايمان . وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب اول من رفع
عن هذا البيت شعار الصليبان . وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان
ذي النورين جامع القرآن . وعلى أمير المؤمنين علي بن ابي طالب
مزلزل الشرك ومكسر الأوثان وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان .
ايها الناس . ابشروا برضوان الله الذي هو الغاية القصوى والدرجة
العليا لما يسره الله على ايديكم من استرداد هذه الضالة من الأمة
الضالة . وردّها الى مقرها من الاسلام . بعد ابتذالها في ايدي
المشركين قريباً من مائة عام . وتطهير هذا البيت الذي اذن الله ان
يرفع ويذكر فيه اسمه . واماطة الشرك عن طرئه . بعد ان امتد
عليها رواقه واستتر فيها رسمه . ورفع قواعده بالتوحيد . فانه بنى
عليه وشيد بنيانه بالتجيد . فانه اسس على التقوى من خلقه ومن
بين يديه . فمن موطئ ابيكم ابراهيم . ومعراج نبيكم محمد عليه السلام
وقبلتكم التي كنتم تصلون اليها في ابتداء الاسلام . وهو مقر الانبياء
ومقصد الأولياء ومدفن الرسل ومهبط الوحي . ومنزل به ينزل
الأمر والنهي . وهو في أرض المحشر وصعيد المنشر . وهو في الأرض
المقدسة التي ذكرها الله في كتابه المبين . وهو المسجد الذي صلى
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالملائكة المقربين . وهو البلد
الذي بوّث اليه الله عبده ورسوله وكلمته التي القاها الى مريم .
وروحه عيسى الذي كرمه برسالته . وشرفه بنبوته ولم يزحزحه عن
رتبة عبوديته . فقال تعالى لن يستنكف المسيح أن يكون عبد الله
ولا الملائكة المقربون . كذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً .

ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله إذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض . سبحان الله عما يصفون . لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم (الى آخر الآيات من المائدة) . وهو أول القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين . لا تشد الرحال بمد المسجدين إلا اليه . ولا تعقد الخناصر بعد الوطنين إلا عليه . فلو أنكم ممن اختاره الله من عباده . واصطفاه من سكان بلاده . لما خصكم بهذه الفضيلة التي لا يجاريكم فيها مجار . ولا يباريكم في شرفها مبار . فطوبى لكم من جيش ظهرت على ايديكم من المعجزات النبوية والوقعات البدرية والعزمات الصديقية والفتوحات العمرية والجيوش الثمانية والفتكات العلوية ما جديتم به للاسلام ايام القادسية والملاحم اليرموكية والمنازلات الخيرية والهجمات الخالدية . فجزاكم الله عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم افضل الجزاء . وشكر لكم ما بذلتموه من مهجكم في متارعة الأعداء . وتقبل منكم ما تقر به به اليه من اهراق الدماء . وأثابكم الجنة فهي دار السعداء . فاقدروا رحمكم الله هذه النعمة حق قدرها . وقوموا لله تعالى بواجب شكرها فله المنة عليكم بتخصيصكم لهذه النعمة وترشيحكم لهذه الخدمة . فهذا هو الفتح الذي فتحت له أبواب السماء . وتباجت بانواره وجوه الظلماء . وابتهج به الملائكة المقربون . وقرت به عيون الانبياء والمرسلين . فمن عليكم من النعمة بأن جعلكم الجيش الذي يفتح على يديه بيت المقدس في آخر الزمان . واليند الذي يقوم بسبوقهم بعد فترة من النبوة أعلام الإيمان . فيوشك أن يفتح الله على أيديكم أمثاله . وأن تكون التهانى لأهل الخضراء أكثر من التهانى لأهل الغبراء . اليس هو البيت الذي ذكره الله

الطغيان فيخيل لكم ان هذا النصر بسيوفكم الحداد وخيولكم الجياد وبجلادكم في مواطن الجلاد . لا والله ما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم . فاحذروا عباد الله بعد أن شرفكم بهذا الفتح الجليل والمنح الجزيل . وخصكم بنصره المبين . واعلق ايديكم بحبله المتين . ان تقترفوا كبراً من مناهيه وان تاتوا عظيماً من معاصيه . فتكبروا كالتى تقضت غزوها من بعد قوة انكاثا . وكالذي آتينا آياتنا فانسلخ منها . فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين . والجهاد . الجهاد . فهو من أفضل عباداتكم واشرف عاداتكم . انصروا الله ينصركم . احفظوا الله يحفظكم . اذكروا الله يذكركم . اشكروا الله يزدكم ويشكركم . جدوا في حرم الداء وقلع شأفة الاعداء . وطهروا بقية الارض من هذه الانجاس التي اغضبت الله ورسوله . واقطعوا فروع الكفر واجتثوا اصوله . فقد نادت الايام بالثارات الاسلامية والملة المحمدية . الله اكبر . فتح الله ونصر . غلب الله وقهر . اذل الله من كفر . واعلموا رحمكم الله ان هذه فرصة فانهزوها . وفريسة ففاجزوها . وغنيمة فحوزوها . ومهمة فاخرجوها لها هممكم وابرزوها وسيروا اليها سرايا عزماتكم وجهزوها . فالامور باواخرها . والمكاسب بذخاثرها . فقد اظفركم الله بهذا العدو المخدول . وهم مثلكم او يزيدون . فكيف وقد اضفى قبالة الواحد منهم منكم عشرون . وقد قال الله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين . وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون . اعاننا الله واياكم على اتباع اوامره والازدجار بزواجره . وايدنا معاشر المسلمين بنصر من عنده . ان ينصركم الله فلا غالب لكم . وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من

وتواصل بالعادة والتقليد حتى صار في النفوس من الملكات . يشهر ذلك لمن تدبر قدم التعصب في جنب خروجه عن الطباع . ويعلمه من تأمل احوال الرياسة في صدور هيئات الاجماع .
ولي اوجزت واجملت والامر محتاج الى الايضاح والتفصيل .
فاقول :

قد اجتمعت آراء المفكرين على ان الرياسة قد حصلت بدأة بدء للمتموئين او الاقوياء وفي الحالين لم يأمن الرؤساء على سطوتهم ان نزول بفتنة الثروة او انحطاط القوة . فالنفس التبهاء منهم تاييدها لما لا تؤثر فيه النوازل ولا يضعفه كرور الايام . فوضعوا للجماعات احكاماً ، كل رئيس وما يوهم فيه المصلحة او ما رأى ميل قومه اليه . فرضى كل اناس مشرهم . وقالوا : هذا هو الحق الذي لا ريب فيه . وقال غيرهم من الاقوال : بل الحق ما نحن عليه قائم في ضلال مبين . فوقت بينهم الاحن . وشبت اعقابهم على اعداوات . حتى قريت روابط الاوهام . فتقطعت صلات الارحام . فصار من النصيلة ان يقتل الانسان اخاه ان خائفه في ما يراه . وامتلاّت رؤوس الخلق عناداً . فملاّوا الارض فساداً . فعدت المظالم عدلاً وسميت المذامح جهاداً

ولا احاول استيعاب المفاسد والنوائب التي نشأت عن التعصب في الدين والرأي . فذلك تاريخ الحروب والفتن والغارات والمهاجرات من صدر الاجتماع الانساني الى الماية السالفة في بلاد الغرب والى هذه الايام في بلاد الشرق . بل الغرب على انتشار

الى مقام السذاجة الأعلى وقليل من هم
والا فما هذا الذي نراه من التحامل على بقايا آل اسرائيل
في بلاد الروس والالمان . وما ذلك الذي مربنا من مظاهر الاحن
بين الكاثوليك وغيرهم في تلك البلاد . وماذا الذي نسمع به الآن
من الخلاف والشتاق بين الشيع المتباينة في فرنسا وايطاليا
وبلجيكا وغيرها من اعرق البلاد في انساها والحرية
ألا أقص عليكم اخواني شيئاً مما تبين من محاكمة المتهمين
بالفتنة التي جرت منذ شهرين في بلدة منسولين بوطن الفرنسيين :
تبين من تلك المحاكمة ان اصحاب المعدن في تلك البلدة (والبلدة
عبارة عن المعدن والعاملين فيه) كانوا اذا رأوا من احد الفعلة فتوراً
في العبادة ، او ضعفاً في العقيدة التي يعتقدون ، ضربوا عليه الغرامة
اجرة يوم او يومين وما فوق . واذا ظهر عليه انحلال العقيدة
ضردوه من العمل رأساً أي حكموا عليه بالنفاة وعلى عياله بالجوع .
واذا مات ذلك المنحل العقيدة فشيعة صاحب له من رنقا ، اتعابه
الى القبر . عاقبوا المشيع بمثل هذا العقاب وهم هم في البلد الذي
افتدى أهله بدمائتم حربة السعي وحرية الرأي وحرية القول .
فما الظن بغيرهم من اهل سائر الافطار . وما الظن بنا نحن الذين
كان من نعم الله علينا ان وجدت بلادنا المقدسة مهبطاً للوحي
ومقاماً للعتائد الدينية من عهد موسى صلوات الله عليه الى
هذه الايام

بل ما الظن بنا ونحن احرص الناس على تعاليم السلف الكرام /
في ما لا يمس جانب النفع الأدبي ولا يتصل بطرف الفائدة الخسية
حتى ان مغارف علمائنا في هذه الحقبة لتشاكل بالخرف معارف

وأما وجوب التساهل على الانسان من جهة حق الناس عليه
فلان العدل الموجب للتكافؤ يلزمه بقبول ما يريد ان يقبله الناس
منه سواء ولما كان اول واجباته الأدبية الناس الحق والصواب .
وثانيها ايضاح ذلك الحق بالاقوال والاعمال كان من الظلم القبيح
ان يمنع غيره من ابداء ما يظنه ذلك الغير صحيحا . ومن العسف
المنكر ان يشوش عليه ما يلمس من الحق بالاغتصاب او الارهاب
للمانعين من التفكير

وأما وجوب التساهل من الجهة الثالثة جهة الحقيقة الخالصة .
فقد اثبتته العقل ولم تنفقه نصوص الأديان بل أيده في مواضع
لا تعد . قال ترتليانوس الكلامي : « ليس من البر ولا التعموى أن
تسلب حرية الناس في أمور الدين فان الله سبحانه وتعالى دمه
عن أن يربد ان يبد اضطراباً »

وقال بوسيتيانوس القديس : « أشد ما يخالف الدين نكراً
ان يحمل الناس عليه قهراً »

وفي : « لكم دينكم ولي دين » وفي : « لا تجادلوهم الا بانتي
هي أحسن » بلاغ للمتبصرين

فالذين يلتمسون الزلنى الى الله بالوعيد والتهويل . والذين
لا يريدون ان يعبد الا كما يريدون . والذين يحاولون رسم آرائهم
في القلوب والجباه بالحديد والنار . كل هؤلاء يفضيرون الله
ويكفرون بالحق ولا يشعرون . فان الحقيقة ليست باجتنية ولا
بعدوة لتلقى على كاهل المرء الزاماً . وانما نحن ضيوفها بالطبع فهي
تقبل علينا وتقف لدينا لتطلبها عن رضى راغبين

أكبر دليل علني على حياة الشعب المصري . وأقوى حجة تكذب
دعوى التائلين بأن مصر وطن لا وجود للوطنية فيه . وإن أبناء
وادي النيل يقدمون بأنفسهم إلى أعدائهم ووطنهم وأقدس ميراث
لآبائهم واجدادهم

أجل . أيها السادة . انكم باجتماعكم اليوم هذا الاجتماع الوطني
ترفعون كثيراً من مقام الوطنية المصرية وتختفون من آلام مصر
العزيرة التي قاست ونقاسي أشد العذاب على مشهد منكم يا عز
بنمها ويا نخبه أنجابه . فكل اجتماع وطني تذكر فيه مصر ويطالب
بحقوقها ويعلن أبناءها إخلاصهم لها هو في الحقيقة مرهم جراحها
ودواء لدائها . فذكروها ما استطعتم . فإن في ذكرها ذكرى الأمبا
وذكرى الآلام يجر حتماً إلى ذكر عوامل الشقاء . اذكروها كما
يذكر الولد الحنون أمه الشقيقة وهي على سرير المرض والعناء .
اذكروها بالأمبا وإن كان غيركم يذكر بلاده بمجدها ورفعة شأنها .
اذكروها فإنكم ما دمتم مقدرين لمصائبها عارفين بحقيقة الأمبا دام
الامل وطيدا في سلامتها ودام الرجاء . اذكروها فمن المستحيل أن
يرى العاقل النار في داره والداء في شخص أمه ويهمل النار ويهمل
الداء . ومن المستحيل كذلك أن يكون الوطن في خطر ونحن
ننام . وأن يعمل الاجنبي لامتلاك بلادنا وسلب حياتنا بل
لاستعبادنا واسترقاقنا ونحن جامدون لا عمل ولا حراك

انقوا أيها السادة بانتظاركم قليلا إلى الامم الحرة تجددوا كل فرد
فيها يدافع عن وطنه ويدود عن حوض بلاده أكثر من دفاعه عن
أبيه وأمّه بل هو يرضاهما ضحية للوطن ويرضى تشبه قبلهما قربانا
يقدمها لأغلاء شأن بلاده . ويعد الموت لأجل الوطن حياة دونها

الحياة البشرية ووجوداً دونه كل وجود . فلم لا يكون المصري على هذا الطراز ووطنه أجل الاوطان وأحقها بمثل هذه المحبة الشريفة الطاهرة

اسألوا التاريخ أيها السادة ما واجب أمة دخل الانجليز ديارها مخدعة وعملوا لامتلاكها وسلها كل ساعة وكل قوة . يحبكم التاريخ ان واجب أمة هذا شأنها أن تعمل بكل ما في استطاعتها ضد مغتصبها وأن تبذل في سبيل خلاص وطنها كل ما تمتلك من مال ورجال

اجل . كل احتلال أجنبي هو عار على اوطن و دنيه . والعار واجب أن يزول . ولست أقصد بهذا الكلام أن أسألكم باسم الوطن اعلان ثورة دموية ضد محتل البلاد . كلام كلا . ان أقل الناس ادراكا لمصلحة مصر يعلم علم اليقين انها منافية لكل ثورة وكل هيجان . وانما أسألكم أن تعملوا بكل اوسائل السلمية على استرداد الحقوق المسلوبة منكم وأن تعملوا لأن تحكم البلاد بآباء البلاد . نعم اني أعلم ان الاحتلال قوي السلطة عظيم الرهبة شديد العقاب . وان العمل ضده موجب للذاب مسبب للفقر والفاقة . ولكن في الرضى بالاحتلال الخيانة والعار . وفي العمل ضد الاحتلال الشرف والفخار

فياذوي النفوس الابية وياذوي الضمائر الحية . اطلبوا الشرف ولو مع الفقر . اخدموا الوطن ولو أسقطت على رؤسكم الصواعق . كونوا مع مصر ان سعيدة فسهاء وان تعيسة فتعساء . قولوا لعدوها في وجهه : أنت عدو لنا . ولصديقها : انت صديق لنا . لا تحبوا

من يرميها بنبال الموت بل امنوه عنها ان قدرتم . ثم ردوها في صدر راميها ان استطعتم . وان لم تستطيعوا فكونوا معها لا مع المعتدين

وان لمصر غير المحتلين أعداء آخرين هم آلات الاحتلال . آلات الفساد . فان ذكرتم الاعداء فازكروا الخيانة فيهم ألد الاعداء . وأي الاعداء هم . أولئك الذين انكروا الوطن والوطنية . واثمنوا على مصالح الأمة فعرضوا بها للدمار . أولئك الذين أبرت بهم مصر فقابلوا برها بالسوء وصاروا اليوم في ايدي المحتلين ضد الوطن العزيز . آلات الدمار . آلات الخراب . أولئك الذين كلما صدوا درجا من درجات المناصب نزلت نفوسهم دركا وفتقدوا نصيباً من الشرف وسمو الاحساس . أولئك الذين يبيعون الوطن على مشهد من الأمم ويسرون بين الناس حاملين لواء الخيانة والعار . أولئك الذين اذا مد اليهم الوطن بد الاستغاثة مدوا اليه سيوفاً ليقطعوا بها يده انشريعة هؤلاء هم الخونة وهم أشد الاعداء ضرراً . ويعلم الله ان الدم الذي يجري في عروقهم هو دم قاسد ليس بالدم المصري الصادق . وانهم مهما ذاقوا من لذة الحياة الظاهرية فسينالهم العقاب اقصى العتاب ولو من أنفسهم متى حاسبوا ضمائرهم . نعم سيماقب الخائنون على خيانتهم . فكم رأينا في التاريخ رجلاً خاوا اوطانهم وساعدوا الاعداء على امتلاك بلادهم . فعوقبوا على خيانتهم لا من ابناء وطنهم فقط بل من نفس الاعداء الذين خدموهم وساعدوهم . هذه سنة الله في خلقه . يقتل القاتل عقاباً على عمله . فكيف بمن يعتدي على امة باسرها بالخيانة ويمتدي عليها بالسلاح الذي سلمته اليه ليدافع به عنها

وان تكون في بلادها عالية الكلمة قوية السلطة لا يرد لها رأي ولا يخالف لها أمر . هنالك تجدون الامة حية والشعب قوياً ولا ترون اولئك الذين يهزأون برغبة الشعب ورغبة نوابه ويسخرون من رغائب الامة ومن مطالبها

انثروا الحقيقة عن مسألة مصر في كل بلد وفي كل ناد . فليس المصريون وحدهم هم أصحاب الحقوق في مسألة مصر ضد المحتلين . بل منهم امم كثيرة من امم اوربا لها في مصر مصالح توافق مصالحهم ولا توافق مصالح المحتلين . وخير ما يعمل لمصلحة مصر هو ان ننضم الامم الاوربية الى الامة المصرية ضد الاحتلال الانجليزي ففي ذلك الخلاص وفي ذلك السلام

ولسنا أبها السادة بانصار دولة دون دولة بل نحن أنصار الوطن المصري وطن الابهاء والاجداد وموطن الابناء والاعتاب . فان ظهرت دولة من الدول بمظهر المحبة لمصر والميل لمساعدتها كنه أكبر أصدقائها وأعظم أنصارها . فمصلحة وطننا قبل كل مصلحة . وهي المصلحة الوطنية التي تفرض علينا ان نشكر من صميم قوادنا الذين رفضوا من سياسيي اوربا العمل مع الانجليز ضد مصر والذين أوقفوا الانجليز عند حد الاحتلال في البلاد . وهي هي المصلحة الوطنية التي تفرض علينا ان نشكر كل رجل من اي امة كان يدافع عن حقوق وطننا ويساعدنا على استرداد حريتنا وحقوقنا الشرعية

واذا كان بعض الرجال المخلصين للوطن المزين بخافون الظهور امام قوة الاحتلال بمظهر المجاهدين ضده ولا يستطيعون ان يقوموا امام الامم مدافعين عن بلادهم مناضلين عن حقوق شعبهم .

فعلهم في مصر نفسها واجبات وطنية يضيق المتنام عن عدها .
ولكنني أقف قليلا وأذكر منها بنوع خاص واجب تربية الأمة
وتعليمها

نعم ان هذا الواجب أكبر واجب وطني والبلاد مطالبة بالتقيام
به . فقد أصبحت المدارس على خلاف رغائب الشعب وآماله .
وأصبحت الأمة في حاجة الى مدارس أهلية ترشدها الى مصلحة
البلاد الحقيقية وتعلمها ما للأمة من الحقوق وما عليها نحو الوطن
من الواجبات

لم لا يقوم كراه مصر ووزرائها السالفون بامر تأسيس المدارس
الأهلية وتربية الأمة . لم لا يعقدون الشركات لهذه الغاية ويخصصون
أيامهم الأخيرة لهذا العمل الشريف . رأينا عظماء منهم قام بمسألة
الإعانة العسكرية وأجهد نفسه في هذا الأمر وله من الأمة والوطن
جزيل الشكر والثناء . فلم لا نراه يقوم مع الكبراء الآخرين بمسألة
إعانة عمومية لتأسيس مدارس أهلية والبلاد في أشد حاجة إليها .
يا أيها الكبراء ويا أيها العظماء ويا أيها الأغنياء . ما انتخار بالرتب
والألقاب ولا بسكنى التصور العالية والتحدث بما كان وما ربحنا
سيكون . بل الفخار كل الفخار في العمل اثناء الليل وأطراف النهار
لخدمة البلاد واعلاء شأنها . فما الحياة بأيام تمر وسنين تكرر بل بالعمل
وبالخدمة الوطنية

وما الحياة باتقاس نردها ان الحياة حياة التفكير والعمل
واذا كان رجل ضعيف الصنوت مثلي يسأل السادة الامراء
والسادة الاغنياء العمل في الشيخوخة والقيام في آخر العمر بتتويج
خدمتهم الوطنية فذلك لا يأتى أعتمد ان الكثير منهم قضى حياة

خطبة اخرى لسعد زغلول باشا

القاهيا في كلية الازهر بالقاهرة بين الطلبة في ابريل سنة ١٩٢١
جئت اليوم لأؤدي في هذا المكان الشريف فرض صلاة
الجمعة . ولأقدم واجبات الاحترام لمكان نشأت فيه وكان له فضل
كبير في النهضة الحاضرة . تلقيت فيه مبدأ الاستقلال لأن طريقته
في التعليم تربي ملكة في النفوس . فالتلميذ يختار شيخه والاستاذ
يتأهل للتدريس بشهادة من التلاميذ الذين كانوا يلتفون حول كل
تابع فيه ومتأهل له يوجه كل منهم اليه الاسئلة التي يراها . فان
اجاب الاستاذ وخرج ناجحاً من هذا الامتحان كان أهلاً لأن
يجلس مجلس التدريس . وهذه الطريقة من الاستقلال التي تسمى
الآن خلافاً في النظام جعلتني أنحول من مالكي الى شافعي حيث
وجدت علماء الشافعية في ذلك الوقت أكفأ من غيرهم . ولقد كان
للأزهريين في الحركة الحاضرة فضل كبير بما القوه من الخطب وما
بثوا من الافكار والمبادئ النافعة

الجزء الثاني

عيون الخطب الافرنجية

خطبة برقليس

كان برقليس (٤٩٥ — ٤٢٩ ق . م .) من خطباء اثينا وأحد رجالاتها للمدودين المحبوسين عند جمهور السكان . وهذه الخطبة القاها في السنة الاولى من الحرب البلوغونيزية رثاء للجنود الذين ماتوا في هذه الحرب سنة ٤٣١ ق . م .

اننا سعداء بنظام حكومي لسنا نحتاج به الى ان نحسد جيراننا لما عندهم من القوانين لأنه نموذج يحتذى به الآخرون بينما هو اصيل في اثينا . وهذا النظام الموكل تنفيذه الى جميع الأمة وليس الى عدد قليل منها يسمى الديمقراطية . فمما اختلف كل فرد منا عن الآخر في شؤونه الخاصة فنحن سوا في التمتع بمزايا قوانيننا ونزداد مزايا بتمتداده تفوقنا . وشرف الاعجاب ليس مقصورا على أسرة واحدة بل للجميع أن يحصلوا عليه باستحقاقهم الشخصي . ولا يقعد الفقر بأحد يبغي خدمة بلاده ويستطيع هذه الخدمة فينال الشهرة بعد التحول . فلكل منا الحق في دخول وظائف الحكومة دون أن تعترضه عقبة . ولنا أن نعيش حياتنا الشخصية في تبادل الحب دون ان تنالنا شبهة . ولنا نقضب من جارنا اذا اتبع ميوله ولنا نسته منه ذلك الاستياء الذي وان لم ينزل به عقاباً فإنه يحدث له المأ . فنحن احرار في حياتنا الشخصية ولنا لا نجرأ مما كانت البواعث على مغاضبة الجمهور لما نحمل في صدورنا من احترام الحكام والقوانين . وبخاصة تلك القوانين المدونة التي يقصد منها التفرج عن المظلوم وتلك التي لم تدون والتي تعود مخالفتها بالعار والفضيحة على من يخالفها

هذه الحقائق ؟ يجب عليكم ان تنفضوا عنكم هذا السبات القاتل وان يتبرع كل منكم بنسبة ما يملك وان تطلبوا من حلفائكم ان يتبرعوا ثم تستعدوا للاحتفاظ بالجنود المسلحين حتى اذا كان فيلبس قد تهيأ لغزو الاغريق واخضاعهم يكون لديكم جيش تمدونهم به وتخلصونهم منه . ولا تخبروني عن المتاعب والنفقات التي يحتاجها هذا العمل . فاني لست انكرها . ولكن اعتبروا الخطر الذي يهددكم واعتبروا مبلغ ربحكم في ما اذا انضمتم للدفاع عن قضية الوطن الى سائر الاغريق منذ الآن . والحق انه لو اكد لكم احد الآلهة ان فيلبس لن ينالكم باذى اذا بقيتم وادعين في مقامكم لا تحفلون بما يعمل فاني اقول لكم والسماء تشهد علي انه من الهوان ومن الصغار ومما هو دون كرامة دولتكم ومجد آبائكم ان تضحوا مصالح وطن الاغريق باجمعه لكي تنالوا انتم الراحة لأنفسكم أجل . انه لخير لي ان اهلك من ان اشير عليكم بهذا . فليفعل ذلك من يشأ غيري . واستمعوا لأقواله اذا اردتم . اما اذا كنتم تحسون مثل ما احس وترون كما ارى انه كلما امتدت فتوحات فيلبس كان في ذلك قوة لعدونا وشداً لازره علينا حين نضطر عاجلاً او آجلاً الى مكافحته فلم تترددون واي اضطراب تنتظرون ؟ فهل هناك ما يخشاه الاحرار قدر ما يخشون سقوط الشرف ؟ فهل انتم في انتظار هذا ؟ الا انه قد وقع بنا الآن ما تنتظرونه وان عبثه ليكدنا ويهظنا . لقد قلت « الآن » ولكن الحقيقة انه قد وقع منذ زمان ولازمنا وجباً لوجه . الا ان هناك اضطراباً آخر قد احتفظ به لنا للمستقبل : هو اضطراب الرق والجلد والصنع . فولي

تنتظرون هذه الاشياء . الا لا قدرت الالهة . ان النطق بهذه
الكلمات مهانة وذل

خطبة لشيشرون

كان شيشرون (١٠٦ ق . م - ٤٣ ق . م) في رومية بمقام
ديموستينيس في أثينا . وكان أديباً وخطيباً مماً ولكن تميزه كان أظهر في
الخطابة . وقد ولد في وقت بدأت فيه الجمهورية في التدهور وأخذ قواد الجيش
في الاستئثار بالسلطة . وأوشكت حرية الأمة الرومانية ان تزول وان تسود
الامبراطورية . وقد حدث في حياة شيشرون ان حاكم صقلية المدعو فرس قد
طغى وتجر على الاهالي فشكوه الى رومية فكان شيشرون « النهم العام » او
النائب العمومي في القضية . فهياً أركان الاتهام والتي سبع خطب في صدها
فكانت من الفصاحة والبلاغة بحيث فر فرس قبل الحكم

وكان موضوع خطبه قبيل وفاته تحذير الرومانيين من انطونيوس الدائد
المشهور . فتخلص منه هذا بأن أرسل اليه من اغتاله

وقد ألقى الخطبة التالية وهو يتهم فرس بأنه جلد احد الرومانيين الذين
تكفي نسبتهم الى مدينة رومية في حقهم في ان لا يجلدوا . قال :

وحدث ان فرس جاء في ذلك اليوم الى مسانا فقدمت القضية
له وقيل له ان الرجل روماني وأنه يشكو من انه قد حبس في محاجر
شيراقوز وكيف انه عند ما كان يوشك أن ينزل الى السفينة اخذ
يفوه بالفاظ الوعيد يهدد بها فرس فاعيد ثانيا واعتقل ريثما يقرر قرار
فرس على ما يريد ان يفعله معه

وعندئذ يشكر فرس هؤلاء الأشخاص الذين اعتقلوا هذا
الروماني ويحمدهم على نشاطهم وحسن صنيعهم . ثم يأتي وهو
ثائر بالشر والجنون « الى الفورم » . عيناه تمدهان والقسوة تبدو من
وجهه والناس صامتون ينتظرون ما يشير به . ماذا يريد ان يفعل ؟

انه يأمر في الحال بان يقبض على الرجل وأن يجرد من ملابسه
ويقيد في وسط الفورم ثم تعد الاسواط . ويصبح الرجل في نفسه
وشقاوته بانه روماني وانه ايضاً معدود من اهل كوزا الحاصلة على
الحقوق البلدية وانه قد خدم في الجيوش الرومانية تحت قيادة
الفارس الروماني العظيم لوقيوس برينيس الذي يسكن في مدينة
بانورماس وكان فرس يستطيع أن يساله عن صحة هذه الدعوى
ان فرس يقول انه كان قد تحقق من أن المتهم قد ارسله العبيد
الآبقون الى صقلية لكي يكون عيناً يتجسس لهم . وهذه تهمة لم
نقم عليها بيته وليس لها أصل بل ليس هناك أقل شبهة في وجودها
في رأس أي انسان . ثم يأمر فرس ان يجلد الرجل بالسياط على
جميع جوانب جسمه

رجل روماني يجلد بالسياط ايها القضاة في وسط الفورم !
وطول مدة هذا الجلد لا يتأوه الرجل ولا يسمع منه في وسط
آلامه وبين قرعة الاسواط سوى هاتين الكلمتين : « انا روماني »
كان هذا الرجل يتخيل انه بهاتين الكلمتين يستطيع ان يدفع
عن نفسه هذه السياط ويطي نفسه عذاب الجلد . ولكن هذه
الكلمات لم تقلل من عنف السياط ولم يجده رجاءه واثباته انه
روماني شيئاً اذ رأى بعد الجلد انه قد احضرت له خشبة لكي
يصلب عليها ولم يكن قد رأى قبلاً أن الاستبداد والجبروت
يصلان الى هذا الحد

أ فواهاً على اسم الحرية الحلو . وواأسفاً على حقوق الحرية
الرومانية . . . ايها القضاة . هذه سلطتكم التي أسفنا لضياعتها قد
ردها اليكم الرومانيون فانظروا كيف يعامل روماني في مدينة من

مدن حلفائنا المتحدين معنا . يقيد ويَجْلِد بالسياط في وسط الفورم
باهر رجل لم يحصل على مركزه الا بفضل الرومانيين

خطبة للقديس برنار

كان القرن الثاني عشر قرن الحروب الدينية الصليبية فكان التعصب رأس
انفصائل عند المسلم والنصراني وكان هو الزاد الذي تقتدي به القوة المعنوية
لكل من الفريقين . وكان القديس برنار رأس احد الاديرة في فرنسا وقد
عاش من ١٠٩١ الى ١١٥٣ م . وكان اذا خطب امتلك قلوب سامعيه لما
كان في كلماته من الاغراء وقوة الاقتناع حتى « كانت الامهات يخفين اولادهن
والزوجات ازواجهن والناس اصدقاؤهم » عندما كان ينزل يبلدة ليخطب فيها
خوفاً عليهم من اغراء الخطيب لهم . وكان جل خطبه في الحض على مقاتلة
المسلمين واجلائهم عن سوريا وفلسطين . ويحسن ان يقارن القاريء بين
هذه الخطبة وبين خطبة ابن الركي التي القاها عند فتح صلاح الدين لبيت
المقدس . ففي كلتا الخطبتين روح دينية هوجاء كلها بغض وكلها تعصب كأن
الحب والتسامح منكران لا ينبغي لاحد ان يدين بهما
قال القديس برنار يحض الاوربيين على حرب المسلمين :

لا مناص لكم من أن تعرفوا أننا نعيش في عصر العقاب
والدمار فان عدو البشر قد تنفخ على جميع انحاء العالم هبوات الفساد
فاننا لا نرى سوى الشرور التي لا يعاقب عليها احد . ولم يعد
لقوانين الناس أو قوانين الدين قوة تكفي لوقف انحطاط الآداب
او منع الاشرار من التغلب . فلقد تبوأ الهراطقة كراسي الحق
وأرسل الله لعنته على الاماكن المقدسة . وأنتم أيها المستمعون لكلماي
سارعوا الى تهدئة غضب الله . ولكن لاتسألوه أن يستجيب لكم
عن ظلمات كاذبة ولا تلبسوا الخيش وانما تأبطوا تروسكم فان
صليل السيوف وأخطار الحروب وكفاحها ومتاعبها هي الكفارات

التي يطلبها الله منكم . فكفروا عن خطاياكم بما تناولونه من الانتصارات
على الاعداء واجملوا خلاص الاماكن المقدسة مكافأة لكم
على توبتكم

من منكم لا يمتشق حسامه اذا قيل لكم أن العدو قد غزا بلادكم
وأوطانكم وأرضكم وأنه قد سبي زوجاتكم وبناتكم وتناول بالرجس
معابدكم ، ان هذه الرزايا واكبر منها قد وقعت باخوانكم وباسرة
يسوع المسيح التي هي اسرتكم . فلم تترددون في حسم هذه
الشروع ولم لا تنتقمون لهذه الفظائع ؟ هل تتركون هؤلاء الاعداء
هادئين ينظرون ويتأملون ما يرتكبونه من الماثم في المسيحيين ؟
اذكروا أن انتصارهم سيكون موضوع حزن جميع العصور وسيكون
للأجيال الحاضرة فضيحة أبدية لا تمحى . اجل . ان الله
الحي قد كلفني ان أعلن لكم انه سيعاقب اولئك الذين لم
ينصروه على أعدائه . قالى الحرب . هلموا اليها . وليؤنس قلوبكم
غضب مقدس واجملوا العالم المسيحي باجمعه يتجاوب هذه الكلمات
التي فاه بها النبي : « ملعون من لا يلمخ سيفه بالدم » واذا كان
الله يدعوكم الى الدفاع عن ميراثه فليس ذلك لأن يده قد فقدت
قوتها . اليس في مقدوره أن يرسل اثني عشر جيشاً من الملائكة
أوفيه بكلمة فيذهب اعداؤه هباء ؟ ولكن الله نظر في أبناء البشر
وأراد ان يفتح لهم الطريق الى رحمته فقد أراكم تبشير صباح يوم
الأمان بأن هيا لكم الانتقام لجده ولاسمه

ايها المجاهدون المسيحيون . ان الذي وهبكم حياته يطلب منكم
حياتكم وهذه المارك جديرة بكم لانكم تناولون المجد اذا انتصرتم
والنفع اذا هلكتم . ايها الفرسان البواسل . يا حماة الصليب

الاجواد . اذكروا مثال آبائكم الذين فتحوا اورشليم والذين قد
رقت اسمائهم في السماء فانبدوا ما يفنى واجمعوا ما لا يفنى وافتحوا
ملكوتاً لا نهاية له

خطبة لبوسويه

كان بوسويه (١٦٢٧ - ١٧٠٤) من خطباء فرنسا الممدودين في عهد
لويس الرابع عشر وكان قد نصب نفسه للدفاع عن الكاثوليكية فكانت أكثر
خطبه موعظ يلقبها من منابر الكنائس . وقد ارتد كثيرون من البروتستانت
عن مذهبهم وعادوا الى الكنيسة الرومانية لقوة عارضته وفصاحة لقاؤه . وله
خطب عديدة مدونة . أفضلها ما ألقاه في رثاء امير كونده وكان قائداً فرنسياً
شهيراً . والقائمة التالية مختارة من هذه الخطبة :

سار المرض في جسم امير كونده ولكن الموت كان قد أخفى
اقتربه . فلما تحسنت حالته قليلاً وكان الدوق دانهيان الذي كان
يوزع وقته بين واجباته نحو أبيه وواجباته نحو ملكه قد دعي الى
البلاط - تغير عندئذ الامير لفراقه وهنا 'صرح له ايضاً بأن الموت
قد اوشك ان ينزل به . ألا انصتوا ايها المسيحيون وتعلموا كيف
يجب ان يموتوا . او تعلموا بالحري ألا تنتظروا الساعة الاخيرة
لكي تشرعوا في ان تعيشوا . أنتظرون ان تبتدئوا الحياة عندما
تقبض عليكم يد الموت الباردة في وقت لا تعرفون فيه اذا كنتم
بين الاحياء او الاموات ؟ ألا فاتقوا بالندم والتوبة هذه الساعة -
ساعة القلق والظلام

لم يدهش الامير عندما ألقى في سمعه هذا الحكم بل صمت
لحظة ثم قال : « هذه مشيئتك يا ربي . فلتكن مشيئتك . فمضى علي

بنعمتك لكي أموت مودة هنية »

فماذا ترغبون في أكثر من ذلك ؟ في هذه الصلاة القصيرة
ترون الخضوع لمشيئة الله والاعتماد على عنايته والثقة بنعمته . وكل
هذا تقوى وإيمان

ومن هذه اللحظة صار كما كان شأنه في معامع القتال هادئاً
ضابطاً لنفسه لا يشغله سوى الاهتمام بجنوده . كذلك كانت هذه
حالته في هذا الصراع الأخير . فلم يترأ له الموت هيكلاً مخوفاً شاحباً
ذابلاً أكثر مما كان يترأى له وهو في الممارك ينتظر الضفر . فبينما
كانت التهنيدات والتأوهات تتصاعد حوله كان هو يدأب على
إصدار أوامره كأنه لم يكن هو المتصور بهذه التهنيدات والتأوهات .
وكان يأمرهم بالكف عن البكاء لا لأنه كان يحزنه هذا البكاء بل
لأنه كان يوقه عن تأدية ما يرغب إداؤه . وفي هذا الوقت امتدت
عنايته إلى أقل خدمه خطراً . فأقل الجميع بهبائه وشرفهم بتحف
تذكارية وفعل ذلك بسخاء جدير بنبأله وبخدمتهم

وأسلم نفسه إلى ذراعي الله وجعل ينتظر في هدوء خلاصه
وكان يتأمل إليه أن أسلم أنفاسه الأخيرة . وهنا ينبغي أن
ينفجر رثاؤنا ونستسلم للتفجع على فقد مثل هذا العظيم . ولكن
اعزازاً للحق وخزياً لأولئك الذين يزدرونه يجب أن تصفوا إلى
هذه الشهادة التي ألقاها وهو يجود بنفسه . فقد قال له الكاهن
الذي حضر للاعتراف أنه إذا لم يكن قلبنا باجمعه مع الله يجب أن
نسأل الله أن يجعله كما يشاء وأن نقول له كما قال داوود هذه الكلمات
المؤثرة : « اللهم اخلق لي قلباً طاهراً »

فلما سمع الأمير هذه الكلمات صمت وتأمل كأن الكاهن قد

أوحى اليه خاطراً عظيماً . ثم دعا الكاهن الذي فاه بهذه الكلمات وقال له : « اني ما شككت قط في خفايا الدين كما ذكر بعضهم ذلك عني »

أيها المسيحيون انه قال الصديق حين فاه بهذه الكلمات لانه كان في حال لم يكن مدينا فيه للعالم بشيء سوى الحق . وقد قال أيضاً : « وأنا الآن أقل شكا مما كنت . فمسي هذه الحقائق تتكشف وتتوضح في ذهني . نعم سئري الله وجهاً لوجه » ثم جعل يكرر هذه العبارة الاخيرة باللغة اللاتينية كأن معناها قد لذ له . وراه المحدثون به وهو في هذه الحال الهنيئة فلم يضجروا من وقوفهم

فماذا كان حديث نفسه في هذا الوقت ؟ وأي نور جديد كان يلتصع فيها ؟ وما كان هذا الشعاع الفجائي الذي مزق سحب احساسه وشتت الطلام عنه بل بدد عنه هذه الظلال بل هذه الغوامض التي كانت تلبس الايمان ؟ وماذا جرى عندئذ لهذه الالقاب الفخمة التي تتباهى بها ؟

سرعان ما تنمى ونحن على حافة المجد وفي فجر هذا النور الجميل خيالات هذا العالم . وهذه الانتصارات اللامعة ما أكدها في ذلك الوقت . وما أشد احتقارنا لاجداد هذا العالم وما أعظم اسفنا لان اعيننا قد عشت بسنائها

فهللوا أيها الناس . بل هللوا أيها الامراء والاشراف . ويا من تحكمون على هذه الارض . ويا من تفتحون أبواب السماء للناس . وأخصمكم اثم أيها الامراء والاميرات والنبلاء الذين هم من سلالة الملوك . اثم يا مصاييح فرنسا التي قد جلتها السواد . اثم الذين

ومباهجه معقودة بمصير أرضه . وأما عن العالم الخارجي وعن الاجتماع البشري الذي يعيش بين ظهرائيه فلا يدري سوى الاساطير والاشاعات . وهو مع ذلك فريسة الخداع والغش . فهو يطعن على غير دراية منه قلب الثورة التي أغدقت عليه النعم . ويدفع ضرائبه ويسخو بدمه لهذا الاجتماع الذي ينحشاه بمقدار ما يحترمه . ولكن الى هنا تنتهي مهمته فاذا تكلمت معه عن المبادئ تبينت أنه يجهل كل شيء .

قالى الفلاحين اذن يجب أن نوجه عنايتنا فهم الذين يجب علينا ان نرفعهم ونعالمهم . ولا ينبغي أن تنبر الأحزاب بعضها بعضا بلفظة « الفلاحين » او « مجلس الفلاحين » ولا ينبغي ان يكون في هذه الألفاظ ما يسوء أحداً . فيا ليت كان لنا مجلس فلاحين في المعنى الحقيقي لهذه الكلمة . لان مثل هذا المجلس لم يكن ليؤلف من جهة بل من المزارعين الأحرار المستنيرين الذين يستطيعون النيابة عن طبقتهم . وبدلاً من ان تكون هذه الكلمة داعية إلى الهزء والسخرية تكون داعية الى تقدم سواد الأمة وتحضرهم . فمثل هذه القوة الاجتماعية الجديدة يمكن الانتفاع بها في المصلحة العامة إلا أننا لسوء الحظ لم نصل بعد الى هذه الدرجة وسنظل محرومين من هذا التقدم مادامت الديمقراطية الفرنسية لا تعرف اننا بتمير الأرياف ورد عظمة الفلاحين وقومهم وعبقريتهم اليهم وفي تربية هؤلاء العمال وتحريرهم انما نعمل بمصلحة الدائعات العليا ونمس مادة بكمراً حارية لكنوز لا تقنى من النشاط والكفاية . فعلىنا أن نتعلم ثم نعلم الفلاح ما عليه من الواجبات للأمة وما له من الحقوق عليها .

وفي ذلك اليوم الذي ندرك فيه أنه ليس علينا من الواجبات ما هو أعظم من هذا وأنه يجب علينا أن نرجى جميع الإصلاحات وأن نعرف أنه ليس يلزمنا سوى واجب واحد هو تعليم الأمة ونشر التربية وتشجيع العلوم — في هذا اليوم نكون قد خطونا خطوة واسعة نحو إحياء الأمة. ولكن هذا العمل يجب أن يكون مزدوجاً يؤثر في العقل كما يفعل في الجسم. وبعبارة أدق أقول أنه يجب على كل إنسان أن يكون ذكياً مدرباً على التفكير والقراءة ومع ذلك ذا جسم قادر على العمل والفتاك. قال جانب كل معلم يجب أن يتفانى الجندى ومدرس الرياضة وذلك حتى يكون أوفداً لنا وجنودنا وسائر مواطنينا قادرين على أن يحملوا السيف والبندقية وأن يسيروا على أقدامهم المسافات البعيدة وأن يناموا تحت قبة السماء وأن يتحملوا ببساطة جميع المشقات التي تعرض للارطنيين. فطينا أن نرقي هاتين التريبتين، وتذكروا أنكم إن لم تفعلوا ذلك فذبحكم في الآداب لن يجعل منكم سؤراً وطنياً يحبي البلاد من الأعداء

واذكروا أيها السادة أنه إذا كان الإنسان قد تفوقوا علينا وإذا كنتم قد اضطرتتم إلى مكابدة الآلام في رؤية بلادكم — بلاد كليبر وهوش — تفقد أعظم ولاياتها التي يتجسم فيها الروح الحربي والتجاري والصناعي والديمقراطي فليس ذلك إلا لنقص في آداب الأمة وصلة اجسابها. والآن تقضي مصالح بلادنا بأن نلزم السمات فلا ننطق بكلمة هوجاء وإن نكظم غيظنا في صدورنا وإن نتهيم بذلك الواجب العظيم ألا وهو إحياء الأمة فترصد له ما يلزمه من الوقت حتى يصير عملاً ثابتاً يدوم مع الأيام. فإذا كان

هذا العمل يقتضي عشرة أعوام أو عشرين عاما لانجازه فيجب ألا نضن عليه بهذا الوقت . ولكن علينا أن نشرع من الآن حتى نرى في كل عام تقدم الجيل الجديد في القوة والذكاء وحب العلوم وحب الوطن بحيث تحمل قلوب الشباب عاطفة مزدوجة ألا وهي أنه لا يخدم البلاد تمام الخدمة و ينصح لها الولاء الا من يخدمها بعقله وذراعه

لقد تعلمنا نحن تعليماً غير مهذب فعلينا ان نعالج أنفسنا من ذلك الغرور الذي جلب علينا البلايا العديدة . وعلينا أن نتحقق المسؤولية فاذا عرفنا الملاج بذلنا كل شيء للوصول الى الغاية وهي احياء فرنسا . ففي سبيل هذه الغاية يجب ان لا نبخل بشيء مهما عظمت قيمته وأن لا نسأل عن شيء آخر قبل تحقيقها . فأولى حاجتنا في هذا السبيل هي التربية — تربية كاملة من انقاعة الى القمة بمقدار ما يستطيعه الذكاء الانساني . ومن الطبيعي أن نعرف بحقوق الجدارة فيجب ايقاظ الكفايات وتزكيها . ويجب اصطفاء القضاة الاشراف التزيهين وأن تكون أحكامهم عمومية تثبت للجمهور انه ليس ثم من مفتاح يفتح ابواب الحق سوى الجدارة . وعليكم أن تنبذوا أولئك الذين يضعون الاقوال مكان الاعمال وأولئك الذين يضعون المحابة مكان الجدارة وأولئك الذين يحملون السيف لا لحماية فرنسا وانما ابتغاء خدمة احد الاشخاص يطوح بهم في سبيل اهوائه ويشركهم في جرائمه — هؤلاء هم دعاة السوء وفاعلو الشر الذين يجب عليكم ان تنبذوهم

خطبة للنكولن

كان ابراهام لنكولن (١٨٠٩ — ١٨٦٥) زعيما لحزب تحرير العبيد في الولايات المتحدة الاميركية ثم رئيساً لهذه الجمهورية الكبرى . وربما لم تقع في العالم حرب اشرف من هذه الحرب . فقد انشطرت الامة شطرين : احدهما المؤلف من اهل الشمال يقودهم لنكولن يرغب في محو العبودية ورفع الزوج الى مرتبة الاحرار . ولم تكن لهم مصلحة مالية في ذلك ولم يكن لهم مأرب خاص وانما غايتهم تحرير الانسان . وكان الشطر الثاني مؤلفاً من اهل الجنوب وكانوا يستوردون العبيد من افريقيا ويستغلونهم في مزارعهم فيسخرونهم لاعمالهم يشتغلون نهارهم بلا اجر لا يأخذون من اسيادهم سوى كفافهم من الطعام . واشتعلت الحرب وانهمز اهل الجنوب وفتح بذلك الانسان فتح جديد في المبادئ الادبية المليا . وقد التى لنكولن الكلمات الاتية في خطبة افتتاح عهد الرئاسة الثانية . قال :

ابناء وطني : في وقوفي الآن امامكم للمرة الثانية لكي اقدم عين عهد الرئاسة لا تتيح لي الفرصة ان اسهب في الكلام بمقدار ما فعلت في المرة الاولى . فقد كان من المناسب في ذلك الوقت ان التى امامكم بياناً مفصلاً بعض التفاصيل عن الخطة التي ازمعنا اتباعها . أما الآن فبعد انصرام أربع سنوات تليت فيها تصريحات عمومية عن أما كن النزاع وجوهره - هذا النزاع الذي لا يزال يستغرق جهود الامة وهما - فليس لدي من القول مما جد سوى القليل . فان تقدم جيوشنا الذي يتوقف عليه كل شيء آخر معلوم لديكم كما هو معلوم لدي . واني أعتقد انه تقدم يجب أن نقنع به وتشجع منه . ولست اجرؤ على التنبؤ ولكن رجائي في المستقبل عظيم . وقد كانت افكارنا في مثل هذا الموقف منذ اربع سنوات

لممثل امتنا في البلاد الاجنبية ان يعلنوا ان الامة تقرنا على جعل رومية عاصمة الدولة . وأظن ان أولئك الذين يخالفونني لأسباب أعرف قيمتها وحرمتها يرون انني على حق في هذه المسألة . واذكروا اني انا لي مدينة اخرى (تورين) لا أستطيع أن لا ابالي بمشيتها وانه لمن بواعث حزني العميق ان انبيء أهل بلدي بأن ينكروا على انفسهم هذا الامل في جعل بلدتهم مركزاً للحكومة

اجل ايها السادة . اني باعتبار شخصي لست اسر بالذهاب الى رومية . فاني غير حاصل الا على القليل من الذوق الفني . فلذلك عند ما اجدني بين اطلال رومية الذخيرة قديمها وحديثها ارثي لبلدي الساذجة الخالية من الخيال والفنون . ولكنني اثق بشيء واحد ألا وهو ان اهل بلدي بما عرفت من خلقهم وبما عرفت من استعدادهم للبذل والتضحية في سبيل انجاح قضية البلاد المتدسة ورغبتهم في التضحية لهذه القضية حتى وقت أن كانت بلدتهم تغزوها الاعداء - اقول اني لست اخشى ان لا ينصروني وانا نائبيهم وأن لا يبدؤا مصالحهم في سبيل ايطاليا المتحدة

وان الامل بأن عاصمة ايطاليا ستكون « المدينة الابدية » يملأني عزاء بان هذه المدينة لن تنسى فضل تلك البلدة التي كانت مهد الحرية والتي غرست فيها غراسها فاثمرت وانتشرت فروعها من جزيرة صقلية الى جبال الالب

لقد قلت وأعيد قولي بأن رومية ورومية فقط يجب ان تكون عاصمة ايطاليا

مواذا كان ثبت من يصرح بأن هذه الحكومة ليست جائرة فهو غطى، اشد الخطا وجاهل بجهل حقيقة هذه الحكومة . ان جورها هائل كربه تقبض على حياة الخاضعين لها وثروتهم فتصرف بها وتبذلها ضحية لاطماعها وقسوتها وظلمها . ان هذه الجمهورية الفرنسية قد حيظت بسياج من الجرائم وهي انما تحتفظ بوجودها الآن لأنه ينظر اليها بين الخوف والرغبة فلا يقترب من حصونها الكافرة احد الا ويريد فازعا

وعلى هذا المبدأ لا أظن أن العضو الموقر يخالفني في أن تأمين بلادنا هو غاية هذا الكفاح الشرعية . وفي هذا القدر ما يكفي لجعل كلامي مفهوما . اما سؤال العضو الموقر : « هل تريد الحكومة متابعة الحرب حتى تنهزم الجمهورية الفرنسية ؟ وهل نيتها ألا تعامل فرنسا مادامت جمهورية ؟ » فجوابي الصريح عليه اني اقول ان آرائي تعدو حدود البلاد الفرنسية . فاني افكر في سلوك فرنسا ومبادئها وخلقيها . وانظر في هذه الاشياء فارى فيها خراب الامم التي حالت هذه الحكومة . وعلى ذلك اقول انه ما دامت هذه الكتلة الضخمة اثؤلفة من الجنون لم تنير تنيراً كاملاً . وما دام خلق هذه الحكومة باقياً كما هو . وما دمت لا استطيع ان اقول وانا مؤيد براي جميع الناس ان فرنسا لم تعد تزدري حقوق الامم الاخرى . وانها لا تدبر التدابير لبناء امبراطورية كبيرة . وانها قد اهدت الى حكومة تحتفظ بهذه العلاقات التي بينها وبين الامم الاخرى والتي لا يمكن اقواماً متحضرين ان يعيشوا آمنين بدونها والتي هي ايضاً مصدر مجدم وذكرهم - اقول اننا لا يمكننا ان

